

نقط الخلاف مع البروتستانت في الصوم

واضح أن الصوم لم يكن رمزاً، إنما هو وصية قائمة في العهد القديم، كما هي قائمة في العهد الجديد، والبروتستانت لا ينكرونه بصفة مطلقة، إنما يلغونه تقريرياً من الناحية العملية.

وهنا سوف لا أتكلم عن الصوم بصفة عامة، وأهميته وفائده، وروحانياته فهذا كلّه يمكن قراءته في كتابنا (روحانية الصوم).

إنما أريد أن أركز على نقط الخلاف بيننا وبين البروتستانت في موضوع الصوم.

A- نقط الخلاف مع البروتستانت:

1- يقول البروتستانت أن الصوم ينبغي أن يكون في الخفاء، بين الإنسان والله، عملاً بوصية رب في العظة على الجبل (متى 6: 17، 18).

2- ليست للبروتستانت أصوم ثابتة يصومها جميع المؤمنين، في مواعيد محددة لها، وفي مناسبات خاصة بها. إنما الصوم عندهم -في غالبيته- عمل فردي، يصوم الفرد منهم متى شاء، وكيف شاء ولا سلطان للكنيسة عليه في هذا، ولا تدخل لها في صومه.

3- يعتمدون على فهم خاطئ للآية التي تقول (لا بحكم أحد عليكم في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التي هي ظل الأمور العتيدة)، وأما الجسد فللمسيح (كو 2: 16، 17)

4- لا يوافقون في الصوم على الطعام النباتي، والامتناع عن الأطعمة الحيوانية ويتهموننا بأننا في ذلك ينطبق علينا على الأقل الجزء الأخير من الآية التي تقول (في الأزمدة الأخيرة يرتد قوم عن الأيمان.. مانعين عن الزواج، وأمرین أن يتمتعن عن أطعمة خلقها الله لتناول بالشكرا) (أي 4: 1-3).

B- اعتراض الصوم في الخفاء

الصوم في الخفاء خاص بالعبادة الفردية وليس بالعبادة الجماعية. لأنّه يوجد هذان النوعان من العبادة..

أ- في الصلاة مثلاً: توجد الصلاة الفردية، التي تصليها في مخدعك، ولا يرى الذي يرى في الخفاء.

وهذا لا يمنع من وجود الصلاة الجماعية التي تصليها معًا كل جماعة المؤمنين بروح واحدة ونفس واحدة وصوت واحد. وأمثالتها كثيرة في العهد الجديد. منها صلاة المؤمنين بعد إطلاق الرسولين بطرس ويوحنا من السجن (فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة، صوتاً إلى الله وقالوا) (أع 4: 24).

طبعاً مثل هذه الصلاة لا تنطبق عليها وصية رب الخاصة بالصلاحة في الخفاء (مت 6: 6)

ب- كذلك في الصدقة: يوجد عطاء في الخفاء كعمل فردي، لا تجعل فيه شمالك تعرف ما تفعله يمينك (متى 6: 3).

ولكن هذا لا يمنع العطاء العام الذي يجمع من الكل، كما جمع داود النبي من أجل بناء الهيكل وذكر ما قدمه هو بالتفصيل، وما قدمه رؤساء الأباء، ورؤساء الأسباط، ورؤساء الآلوف والمئات، ورؤساء أشغال الملك (أي 29: 9-3)

ومثل هذا العطاء ما كان الناس يضعونه في الخزانة، كالتى وضع فلسين في الصندوق (لو 21: 1، 2).

ج- كذلك في الصوم: يوجد الصوم الفردي في الخفاء. وهذا لا يمنع الصوم العام، لكي يشترك كل المؤمنين معاً في صومهم.

فهل الصوم الجماعي تعليم كتابي أم لا؟

٣- اعتراض الصوم الجماعي

هناك أمثلة كثيرة في الكتاب عن الصوم الجماعي، ومنها:

أ- صوم الشعب أيام أستير
الشعب كله صام معاً، في وقت واحد، من أجل غرض واحد، وبصلة وطلبة واحدة إلى الله. وقبل الرب صومهم، واستجاب لهم (أس 4).

ب- صوم أهل نينوى:

الكل صاموا معاً، وليس في الخفاء. وقبل الرب صومهم فغفر لهم خططيتهم (يون 3).

ج- صوم الشعب أيام عزرا، ونحريا:

يقول نحريا (وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر، اجتمع بنو إسرائيل بالصوم، وعليهم مسح وتراب) (نح 9: 1).
ويقول عزرا (وناديت بصوم على نهر أهوا، لكي نتذلل أمام إلهنا، لنطلب منه طريقاً مستقيمة، لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا) (عز 8: 21).

د- الصوم أيام يوئيل:

ورد فيه (الآن - يقول الرب - ارجعوا إلى بكل قلوبكم - وبالصوم والبكاء والنوح).. (قدسوا صوماً نادوا باعتصاف. اجمعوا الشعب، قدسوا الجماعة ليخرج العريس من مخدعه، والعروس من حجلتها..) (يوئيل 2: 12-17)

ه- وفي العهد الجديد صوم الرسل:

لما سئل السيد المسيح لماذا لا يصوم تلاميذه؟ أجاب بأنه (حين يرفع عنهم العريس، حينئذ يصومون) (متى 9: 15). وقد صاموا فعلا، معاً وليس في الخفاء.

و قبل الله صومهم. ومن أمثلة صوم الآباء الرسل، قول الكتاب (وفيما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: افرزوا لي بربنيا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه (فاصموا حينئذ وصلوا، ووضعوا عليهما الأيدي) (أع 13: 2، 3).

و- القديس بولس الرسول صام صوماً كثيراً وكل أهل السفينة (أع 27: 21).

الصوم الجماعي مقبول إذن، وهو تعليم كتابي، ويدل على وحدانية الروح في العبادة وفي التقرب إلى الله، وبخاصة إذا كان غرض الصوم أمراً يهم الجماعة كلها، أو إذا كانت تشتراك في الصوم، كما في الصلاة، بروح واحد.

وليس في الصوم الجماعي رياء:

لأنه ليس أحد مميزاً على غيره فيه. أما درجة الصوم وأعمقه بالنسبة إلى كل فرد فهذه تكون في الخفاء.

وفي العهد الجديد لا يوجد نص واحد يمنع الصوم الجماعي.

D- اعتراض على مواعيد الصوم

إن الصوم في مواعيد محددة هو أيضاً تعليم كتابي، كما حدد الرب -في سفر زكريا النبي- صوم الشهر الرابع، وصوم الشهر الخامس، وصوم السابع، وصوم العاشر (زك 8:19).

ولعل الحكمة في تحديد مواعيد الصوم هو تنظيم العبادة الجماعية.

وفي المسيحية أخذت مناسبات الصوم طابعاً مسيحياً، لكل منه حكمته وتأثيره وهدفه الروحي.

E- لا يحكم أحد في صوم

لم يقل الرسول (لا يحكم أحد عليكم في صوم) إنما قال (لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب.. وكان المقصود بذلك المحرّمات في الأطعمة بالنسبة إلى اليهود، كأصناف الطعام التي كانوا ينجسونها).

وهذا يذكرنا بالرواية التي رأها القديس بطرس الرسول في قصة هداية كرتيلوس، لما رأى ملائكة عظيمة وعليها كل أنواع الأطعمة، وسمع صوتاً يقول له اذبح وكل.

فقال بطرس (لا يا رب، لأنني لم آكل قط شيئاً دنساً، أو نجساً، فصار إليه الصوت ما ظهره الله لا تدنسه أنت) (أع 10: 11-15). عن هذه الأطعمة المعتبرة نجسة ودنسة، قال بولس الرسول (لا يحكم عليكم أحد في أكل وشرب). وذلك لأنّه في مبدأ الإيمان بالmessiahية، كان أول من دخل المسيحية هم اليهود، فأرادوا تهويد المسيحية أي أن تدخل في المسيحية كل العادات اليهودية مثل النجاسات والتطهير.

و كذلك ما يخص اليهودية من حفظ السبت والاحتفال بالهلال وأوائل الشهور، والأعياد اليهودية كما هي مثل: (الفصح، والفتير، والأبواق، والمظال، ويوم الكفارة) فأراد بولس مقاومة تهويد المسيحية . ولذلك قال (لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة) (كو 2: 16، 17).

إذن لم تكن مناسبة حديث عن الصوم، إنما عن العادات اليهودية التي يريدون إدخالها إلى المسيحية.

F- اعتراض الصوم النباتي

أ- نحب أن نقول أولاً أن الصوم في كنيستنا ليس هو مجرد طعام نباتي، إنما هو انقطاع عن الطعام فترة معينة يعقبها أكل نباتي (خال من الدسم النباتي).

ب- الطعام النباتي كان الطعام الذي قدمه الرب، لآدم وحواء في الفردوس (تك 1: 29) وبعد الخطية أيضاً (تك 3: 18). وكانت الحيوانات كلها تأكل طعاماً نباتياً هو العشب (تك 3: 30).

ج- لم يسمح الكتاب بأكل اللحم إلا بعد فلك نوح (تك 9: 3) وكان العالم قد هبط مستوى جدأ للدرجة التي أجلت الرب إلى الطوفان.

د- لما قاد الرب شعبه في برية سيناء، قدم لهم طعاماً نباتياً هو المن (عدد 11: 7، 8) ولم يسمح بأكل اللحم (السلوى) إلا بعد تذمرهم وبكائهم وهبوط مستوىهم. ومع عطية اللحم ضربهم ضربة شديدة. فمات منهم كثيرون (عدد 11: 33) وسمى ذلك المكان قبروت هتاوه (أي قبور الشهوة)، لأنهم هناك اشتهوا أكل اللحم.

هـ - ونلاحظ أن الطعام النباتي هو الطعام الذي أكله دانيال النبي والثلاثة فتية، وببارك الله طعامهم، وصارت صحتهم أفضل من كل غلام في الملك (دا 1: 12-15)

ولعل الحكمة في استخدام الطعام النباتي هي أمران: استخدام الأطعمة الخفيفة بعيدة عن الشهوة والتي لا تثير الجسد، كما أن الطعام النباتي كان النظام الأصلي الذي وضعه الله للإنسان.

جـ - "اعتراض "مانعين عن أطعمة

الكتاب في النص الذي اعتمد عليه البروتستانت، لا يتحدث عن نظام في الكنيسة، إنما يقول (يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين؛ مانعين عن الزواج وأمررين أن يتمتع عن أطعمة قد خلقها الله للتناول بالشکر (تي4: 1-3)

ولعل المقصود بهذا المانعين والموتنانبيين الذين حرموا الزواج، وحرموا اللحم، وحرموا الخمر، وقد حرمتهم الكنيسة وشجبت كل ما نشروه من بدع.

والكنيسة لا تحرم اللحوم وما ينتمي إليها، إنما تمنع عنها في الصوم نسقاً وليس لأنها نجسة. بدليل أن الصائمين يأكلون هذه الأطعمة حينما يفطرون.

إن دانيال أكل القطاني فقط وامتنع عن باقي الأطعمة، ولم يقع تحت حكم هذه الآيات. وكذلك يوحنا المعمدان في كل ما امتنع عنه من أطعمة وكذلك النساك في كل زمان ومكان.

إن النسك - ولوقت محددـ شيء، وتحريم الأطعمة شيء آخر..

H-تنظيم الصوم وسلطة الكنيسة

بقي أن نقول نقطة أخيرة هامة، وهي:

تنظيم الصوم وسلطة الكنيسة

إن الكنيسة نظمت الصوم، وووضعت له أسسه الروحية، ومواعيده الثابتة المبنية على قواعد روحية ليس الآن مجالها. وهكذا احتفظت بالصوم، وبقي كعمل روحي لا يستغني عنه أحد.

والكنيسة من حقها أن تنظم، بل من واجبها أن تنظم، من أجل صالح جماعة المؤمنين لكي يعبدوا الله جميعاً بروح واحدة. وهي تعتمد في ذلك على قول رب لقادتها (ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء. وما حللتتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء) (مت 18: 18).

وهكذا يستند التنظيم الكنسي على نص كتابي.

أما الأخوة البروتستانت، فمن أجل حرية الفرد، أضاعوا فائدة الجماعة كلها واحتفي الصوم تقريباً عندهم. وهو واسطة روحية لا ينافس أحد في مدي نفعها.

والنظام عموماً نافع للفرد، ولا يعتبر مانعاً لحريةه، بل هو منظم لاستخدامها.